



العالم العبقرى الذى رفع راية الهند أمام العالم

الدكتورة سميه رياض الفلاحى الأعظمى
باحثة سابقة من جامعة علي كره الإسلامية الهند

الملخص

هو أبو الفقير زين العابدين عبد الكلام المولود سنة ١٩٣١م فى ولاية تامل نادو قد اشتهر باسم عبد الكلام و لقب ب « أبو البرنامج الصاروخى الهندى ». وقد أدى دورًا بارزًا فى تطوير العلوم و التقنية فضلاً عن عنايته بتنمية القوات البشرية. كان مهندسًا بارعًا فى العلوم والتكنولوجيا، وهو أول من منح الهند القوات النووية و برز كأديب و شاعر و ألف كتبًا عديدة فى اللغة الإنجليزية فى مجال النثر كما أبدع فى الشاعرية و أقرض الشعر فى اللغتين : التاميلية و الإنجليزية و أبدع فيه داعيًا إلى الإنسانية و المحبة و الفطرة و سواها لتثقيف المجتمع. و هكذا لعب دورًا حيويًا فى إثراء اللغة و الأدب بسبب شغفه بمصاحبة الطلاب و الشبان. و سوف تتناول المقالة حياة الرئيس من جميع النواحي بمنهج بحث أكاديمى بالدقة و التحرى و تختتم بأن تقدم شخصيته المتنوعة فى مجالات شتى.

الكلمات المفتاحية: حياته ، تعليمه و نشأته ، عمله التقنية ، تحريض الشباب على العلم ، محاولته بالنثر والشعر.

المداخلة

إن الهند بلد العجائب والغرائب ، لها حضارة خصبة و ثقافة خضرة و مناهل عذبة للعلوم والمعارف ، فلم يزرها قوم إلا و قد اغترف منها غرفة بيدها ، ولم يدر فيها فرد إلا و قد انتفع بها ، فقد انجبت شخصيات عباقرة لامعة الذين قدّموا البلد حضارياً و ثقافياً ، و علماء و أدبياً ، و جعلوها كالوردة فلم يقطفها أى شخص إلا و قد فرح بميسمها و لم يطف حولها إلا وقد سعد ببهجتها. ومن بين هؤلاء العباقرين يلمع الشخص الهندي كالكوكب الدرى الذى أضاء شمعة فى عالم الظلام و منح الشعب الهندي مشعلاً يمكن المشئ اليسير فى ضوءه ، و هو "رئيس الشعب" و "أبو الصاروخ الهندي" اى.بى. جى عبد الكلام.

هو أبو الفقيه زين العابدين اى.بى. جى عبد الكلام الرئيس الحادى عشر للدولة ولد سنة ١٩٣١م فى مقاطعة راماناتا بورام من ولاية تامل نادو ، و كان ينتهى إلى أسرة مسلمة فقيرة. فقد ترعرع تحت أكناف والديه الذين كانا يعيشان عيشة ضيقة فكان والده زين العابدين يملك قارباً يكسب منه قدر الطاقة و كانت أمه أشياما ربة بيت ، فلم يمنعه فقره من الرقى فى سيره و لم يعرقل فى طريق تعليمه بما أنه منحه الله ملكات كثيرة حيث كان يتعلم و يحاول أن يخفف عبء الأسرة منذ طفولته و أن يساعد بلده الهند فى وقت لاحق ، فقد كان متعلماً و مؤظفًا فى صغره فى وقت واحد.

تعلم فى المدرسة الابتدائية و بعد تكميل دراسته الأولى عمل بائعاً متجولاً للصحف لدعم عائلته و عاش وحيداً دون الزواج طيلة حياته و كان يتمتع بذكاء وجدية فى التعلم و خاصة فى مادة الرياضيات كما يعترف مدرسوّه و زملاءه به ، و بعد تخرجه فى مدرسة "راماناتابورام شوارتز الثانوية" التحق بكلية القديس يوسف فى مدينة تير و شيرا باللى بولاية تاميل نادو ، و منها أكمل دراسته فى الفيزياء بجامعة مدراس و تخرج فيها سنة ١٩٥٤م. و فى سنة ١٩٥٥م تخصص فى هندسة علوم الفضاء. فقد كانت حياته عابرة عن الجهد والعمل ، فترى مجهوداته اثناء عمله فى مشروعه الدراسى حينما كان عميد الكلية غير راضى عنه و هدده بإلغاء منحةه الدراسية إلا إذا حقق ما طلب منه فى ثلاثة أيام فاجهد ثلاثة أيام ليلاً و نهاراً بشكل متواصل و أتى بعمل جوهرى الذى أهر عميد الجامعة فقال:

"I knew I was putting you under stress and asking you to meet an impossible deadline. I never expected you to perform so well".¹

1. Wings of Fire, A.P.J Abdul Kalam with Arun Tiwari, page 25, Universities Press, 1999

واصل دراسته و عمله حتى يبلغ الأوج و الكمال في حياته العلمية و انطلق في المنظمة الهندية لأبحاث الفضاء (ISRO) و اعتكف في سيره على تطوير الأقمار الاصطناعية و فاز بتطوير أول قمر صناعي هندي (روهيني) و وضعه على مدار الأرض ، كما فاز بترقية أول مركبة إطلاق للأقمار الاصطناعية (SLV-III) ، و كان مديراً لهذين المشروعين ، و بهذا السير قد تمكن من وضع البلد في مصاف الدول المتقدمة كالولايات المتحدة و فرنسا و الصين و روسيا وغيرها.

فقد نفذ حياته الطويلة في إطلاق تجارب نووية، و هو أول من منح الشعب قوة نووية سنة ١٩٩٨ م ، و ركز بصره على أبحاث و تطوير الدفاع في المنظمة الهندية (DRDO) و عمل على تطوير البرنامج الصاروخي و جعل الهند أكثر قوة و سمعة إلى أن قرّر الرئيس الحادي عشر سنة لجمهورية الهند سنة ٢٠٠٢ م لخمس سنوات ، و في تلك الفترة نورّ الهند بقيادته الفكرية المتميزة و حاول أن يثبت مقامه العلمية دون الرئاسة كما يقول و مفهومه: "إنه يريد أن يعرف كمعلم".^٢

و هذه فكرته الرئيسية قرّبه تعاملاته في قصر الرئاسة إلى الناس فلّقب ب « رئيس الشعب » ، و قد سبق أن يلقب ب « أبو الصاروخ الهندي». فقد ترك معالم نيّرة في رحلته العلمية في مجالات العلوم والتكنولوجيا و الثقافة والأدب حتى أفل نجم الهند سنة ٢٠١٥ م و ترك خلفه مليوناً من الهنديين باكيين.

أما حياته الثقافية فقد تأثر بثقافة هندية و ثقافة تاميل نادو واحتضنها و شغف بمطالعة الكتب التي تهدي إلى التعرف على الثقافة القومية كما اعترف أنه تأثر بثلاثة كتب و هي :

Light from Many Lamps by Lillian Eichler Waston

Thirukural by Thiruvalluvar

Man the Unknown by the Noble Laureate and Doctor-Turned-Philosopher Alexis Carrel.^٣

و هذه الكتب تعبّر عن المجتمع والثقافة والشعب والحضارة فقد أثرت في قلب رئيس الشعب. و تعرض الدراسة عن حياته العلمية أنه كان يحن إلى معرفة الأخبار و قراءة الكتب الأدبية من كتب دينية ، و شعر و رواية وغيرها كما يكتب:

٢ مقال مجيب الرحمن ، " المسلم الذي ألهم الشعب الهندي بأكمله ، أخبار الحياة ، ٢٠١٥-٠٧-٢٩

٣ راجع لهذه المعلومات إلى:

Three books that influenced A.P.J Abdul Kalam deeply by Abdul Kalam,

www.firstpost.com/living/three-books-that-influenced-apj-abdul-kalam-deeply-2367912.html/amp

"It's no secret that A.P.J Abdul Kalam was a book worm. Fiction, poetry, religious tomes, novels- Kalam enjoyed it all".^٤

ولم يشغل بقراءته فحسب ، بل قام بتشجيع الشعب الهندي على اكتساب العلم والتعليم و دراسة الكتب المتنوعة و قال أن الكتب ساعدتني على انجازات الأهداف والمقاصد فهي كأصدقائي و حرضهم على مطالعة الكتب بقوله :

"I ask young friends to have books as friends. Books are your good friends".^٥

و قضى أيامه بأفكاره الواسعة و أحلامه الفاخرة وفقًا لقوله :

" Great dreams of great dreamers are always transcended".^٦

فقد اهتم بإلقاء محاضرات بين الطلاب في جامعات عديدة و مدارس مختلفة كما حضر معاهد تكنولوجياية و أكد أهمية التعليم و حرّض الطلاب على احترام أساتذتهم و الأساتذة على أداء واجباتهم نحو العلم والتعليم والتربية للنشئ فقد قال بمناسبة أهمية يوم الأساتذة في حفلة تكريمية:

" On this day , we gratefully remember the great educationist Dr. Sarvepalli Radhakrishnan, whose dream was that' Teachers should be the best minds in the country; Hence, Teachers' Day is very important for all people, for our students and even for all the parents, as the teachers Lay the foundation for creating enlightened citizens for the nation".^٧

أما دوره في الأدب فقد بذل جهودًا كبيرًا في هذا الصدد ولم يشغل عنه خلال فترة أعماله التكنولوجية و أتى بإسهامات كثيرة و أبدع في مجال النثر والشعر فقد كتب كتبًا عديدة منها: " التطورات في ميكانيكا السوائل و تقنية الفضاء" نشر سنة ١٩٨٨م، و " الهند عام ٢٠٢٠م: رؤية للألفية الجديدة " سنة ١٩٩٨م و " أجنحة النار" سنة ١٩٩٩م (السيرة الذاتية) و " وإشعال العقول : إطلاق العنان للقوة في الهند " سنة ٢٠٠٢م ، و " شرارات مضيئة" سنة ٢٠٠٤م ، و " مهمة الهند" سنة ٢٠٠٥م ، و " أفكار ملهمة " و " الروح التي لا تقهر" و " تطلعات الأمة" و " أنت ولدت لتزهر: خذ رحلتى لما هو أبعد " سنة ٢٠١١م ، و " نقاط التحول" سنة ٢٠١٢م ، و " الهدف ٣ مليار" و " رحلتى: تحول الأحلام

٤ نفس المرجع

٥ نفس المرجع

٦ <https://www.brainyquote.com>quotes>

٧ Dr. A.P.J Abdul Kalam: The Scientist-philosopher

<https://milestone02.wordpress.com/category/dr-a-p-j-abdul-kalam/>

لأفعال "٢٠١٣ م ، و " بيان رسى من أجل التغيير: تكملة للهند ٢٠٢٠م " سنة ٢٠١٤.

فهذه الكتب المذكورة ألفت بيد عبد الكلام فى أغراض شتى ، فبعضها تعبير عن بواعث النهضة للبلد ، و بعضها فى إطار الأدب ، و بعضها فى التحريض على التقدم والتطور و منها فى السيرة الذاتية ولكن معظمها فى العلوم والتكنولوجيا.

لعبت هذه الشخصية دورًا بارزًا بمؤلفاته العظمى فى تطوير اللغة والأدب والثقافة والعلوم والفنون حتى قد أصبحت موضوع الدراسة واحتلت مكانًا مرموقًا بين الأدباء الهنديين كما نرى كتبًا عديدة حوله باسم " حياة وأوقات الدكتور عبد الكلام " لإس-شندرا ، و " الرئيس عبد الكلام " لآر.ك. بروثى ، و " عبد الكلام " رؤية الهند " لك. بوشان وجى-كاتيال ، و " الحلم الصغير " ل.بى. دانابال و منفىلى ، و " تأثير عبد الكلام : سنواتى مع الرئيس " ل.بى. إم بنير ، و " أيامى مع المهاتما عبد الكلام ل م. ك. جورج.^٨

و ليست فحسب ، بل حاز على عدة جوائز و أوسمة و ميداليات لقدرته الإيجابية من الحكومات والمراكز العلمية والمعاهد التقنية فى الهند و دول العالم ، منها جدير بالذكر « بهارات رتنا ، و بادما بوشان وغيرها ، و حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية من ٤٠ جامعة.

و عبّر دى. سى. بى سنغ عن حنينه إلى الأدب والشعر والثقافة فى البريد الإلكتروني بقوله :

"All he ever talked to me about was literature, poetry and sometimes music. Dr Kalam was influenced by Tamilian Sangam Literature and I being a student of Hindi literature was fortunate enough to have a kind of a cultural exchange with none other than the President of India".^٩

و صرف أكثر وقته فى تقديم الثقافة والحضارة فى سيره العلمية و وضع التعليم فى القمة لتطويرها بما أن الثقافة من الشعب والشعب لم يقدم إلا بالتعليم فلم يخرج من بيته إلا للتعليم والدرس والتدريس ولم يتخلف فيه ، ولم يقلق فى طيلة حياته إلا بضعف خيوط الشعب الهندى بالتعليم. و ينعكس فكره فى أهمية التعليم فى مقاله

٨ أنظر إلى :

<https://ar.m.wikipedia.org/>

9 <http://www.dnaindia.com/india/report-apj-abdul-kalam-spoke-of-literature-with-rashtrapati-guards-was-not-picky-about-security-arrangements-2109083>

، ويقول:

“Education is the most important element for growth and prosperity of a nation”.^{١١}

ولتعميم نظريته عن التعليم و تطوير الثقافة استمر في الاهتمام بإلقاء المحاضرات بين الطلاب و واضب على مصاحبهم بأنه يعتقد أنهم آمال البلد و أمنياتها ، فوضع هدفاً للتفاعل مع ١٠٠ ألف طالب خلال العامين و هي فترة استقالته من منصب المستشار العلوي في عام ١٩٩٩ م ، و أكد مكانة الطلاب بين الشعب و شعوره نحو ترقيتهم ، و نذكر هنا مفهومه : “ أشعر بالراحة في الشراكة مع الشباب و خاصة طلاب المدارس الثانوية و من الآن و صاعدا فإنني اعتزم تبادل الخيرات معهم و مساعدتهم في إشغال خيالهم و إعدادهم للعمل من أجل تقدم الهند”.^{١١}

و جمع الكثير من تصوراته في أهمية التعليم و تطور المجتمع في كتابه « الهند ٢٠٢٠ م » ، و منها يقول : « يؤمن بقدرة العلم على حل مشكلات المجتمع». ^{١٢}

وباهتمامه نحو العلم و شراكة الطلاب بشكل فعال اعتبرت الأمم المتحدة يوم ميلاده بأن هذا اليوم هو يوم الطلاب العالمي ، و في عام ٢٠٠٥ م أعلنت سويسرا أن يوم ٢٩ مايو من كل عام هو يوم العلم ، و ذلك بمناسبة زيارة عبد الكلام لهذه الدولة». ^{١٣}

لم يكن اي. بي. جي أديباً أو كاتباً فحسب ، بل كان شاعراً أيضاً ، وأقرض الشعر في اللغتين : لغة تاميلية و الإنكليزية ، و منها ستة منظومات مبنية على الفطرة والإنسانية كالتالي :

1) My garden Smiles 2) Rock Walls 3) Earth Shining in Glory 4) Our Mission is water
5) I am the Indian Ocean 6) The Life Tree

و عرض فيها بهجة المناظر و خضرة النواظر ، و دعا الإنسان إلى الإنسانية والشفقة مستعملاً التمثيلات والاستعارات و الكنايات من ألوان البلاغة و بين كما أن الفطرة من الأرض والبحر والشجر والغابة والجبل تجمل الدنيا بمحاسنها الظاهرة و تريحها بميسمها الباطنة و تقواها بأعضائها القوية و تهديها إلى القوة والاتحاد بمناظرها الخصبة النظرة

10 Dr.A.P.J Abdul Kalams contribution towards Education , 27 Jul, 2016
www.careerindia.com

١١ المرجع السابق :

[/https://ar.m.wikipedia.org](https://ar.m.wikipedia.org)

١٢ نفس المرجع

١٣ نفس المرجع

، فيمكن للبشر أن يقرأها من عيونه الداخلية و يفيد من أغصانها المتحدة إلى أن يصل إلى رسالتها النافعة التي تبلغ الذروة والقمة كما يصف الرواسي بقوله :

A few others build rock walls to make a home

It is their mission to serve humanity and nature.

و هناك منظومات عديدة أخرى له في مجال الشعر لا يمكن حصرها في هذه العجالة القصيرة

فبعضها تسربت إلى تحريض الشباب على القوة والعظمة ، و بعضها غاصت في وصف الشعب الهندي ، و بعضها صبغت بصبغة الروحانية والإنسانية و بعضها تجملت بجمال الفطرة و بعضها دعت إلى رسالة التي تفتح أبواب القدرة والوسعة و كما الحضارة الهندية متنوعة و ثقافتها متلونة فنظم الشاعر في ألوان متعددة و كلها في أسلوب بليغ تمثيلي معبر عن الثقافة والمجتمع.

و نظم الشعر باسم "My Mother" في كتابه "Wings of Fire" و أبدع فيه ، و صور فيه أمه كمرأة التي خلقت للحب والرحمة و الداعية إلى الفطرة. فهذه القصيدة ذوبان القلب لأمه كما يذكر فيها تشجيعات أمه حينما يقلق و يتوتر في أي مرحلة حياته. ١٤

و لم يترك مآثر نادرة في ميدان الشعر فحسب ، بل ترك أقوالاً ثمينة للشبان الهنديين و جعلها ضرب الأمثال التي تأتي في مضمار الأدب ، فقال :

"Thinking should become your capital asset, no matter whatever ups and downs you come across in your life".^{١٥}

و نجد له أقوالاً عديدة التي قالها لحث الشعب الهندي ولكن لم نستطع أن نحيط بها في هذه المقالة القصيرة.

و بناءً على تلك الدراسة نستنتج أن " رئيس الشعب " قد لعب دوراً حيويًا في إطار الأدب واللغة كما أسهم في تأليف الكتب و قرض الشعر و ضرب الأمثال ، و تمثل عن المجتمع الهندي و الثقافة الهندية كما يلعب الأدب دورًا بارزًا في تعبير عن الشعب والمجتمع ، فضلًا عن هديته للشعب الهندي من قوات تقنية فلُقب ب " أبو البرنامج الصاروخي الهندي " أو

١٤ راجع إلى :

Poem " My Mother" in " Wings of Fire" by A.P.J Abdul Kalam, page 4-5

15 Poetry: Dr.A.P.J. Abdul Kalam:Former President of India from www.abdulkalam.nic.in

” أبو الصاروخ الهندي ” ، فيمكن أن نقول أن شخصيته كالزهرة فيفرح الإنسان بحسنها إذا طاف حولها و يفيد بمسكها إذا قطفها فشخصيته مليئة بألوان مختلفة فأفاد الناس بمحاولاته التقنية والأدبية ولو كان أنتقد من بعض مجموعات مدنية وأحزاب سياسية في بعض الأحيان ، و مهما كان فذاته ذو أجنحة متنوعة أصبحت قدوة للجيل الجديد و دعته إلى القوة والتجديد.

المصادر و المراجع

1. Wings of Fire, A.P.J Abdul Kalam with Arun Tiwari, page 25, Universities Press, 1999
2. Poem “My Mother” in “Wings of Fire” by A.P.J Abdul Kalam, page 4-5
3. Poetry: Dr.A.P.J. Abdul Kalam Former President of India from www.abdulkalam.nic.in
4. Three books that influenced A.P.J Abdul Kalam deeply by Abdul Kalam,
5. www.firstpost.com/living/three-books-that-influenced-apj-abdul-kalam-deeply-2367912.html/amp
6. مجيب الرحمن ” المسلم الذي ألهم الشعب الهندي بأكمله ، أخبار الحياة ، 2015-07-29
7. <http://www.thealternative.in/society/6-poems-kalam-nature-humanity-every-indian-read/>
8. <https://ar.m.wikipedia.org/>
9. <https://www.brainyquote.com>qoutes>
10. Dr.A.P.J Abdul Kalams contribution towards Education , 27 Jul, 2016
11. www.careerindia.com
12. <http://www.dnaindia.com/india/report-apj-abdul-kalam-spoke-of-Literature-with-rashtrapati-guards-was-not-picky-about-security-arrangements-2109083>
13. Dr. A.P.J Abdul Kalam: The Scientist-philosopher
14. <https://milestone.۲.wordpress.com/category/dr-a-p-j-abdul-kalam/>